العتبة العباسية المقدسة

الخميس

٢٧٥

السنة السابعة

١١ / جمادى الآخرة / ١٤٣٣ هـ
الخميس ٣ / ٥ / ٢٠١٢ م

أسبوعية ثقافية تصدرها لجنة الشؤون الفكرية والثقافية - وحدة الدراسات والنشرات في العتبة العباسية المقدسة

إن المتأمل في أمهات كتب الإمامية الاثني عشرية، يلاحظ اهتماماً بالغاً ما انفك يوليه أئمة أهل البيت عليهم السلام لكل ما يتعلق بالدين عقيدة وشريعة. ولقد جاء من آثارهم ما أظهر تصديهم لكل دخيلة عن الدين أو مارقة منه، حتى إنهم كانوا يتحسسون مواضع الداء قبل استفحاله، ففي يوم الجمل مثلاً وقف أمير المؤمنين عليه السلام يرد على رجل من جنده عندما سأله قائلاً: أتقول إن الله واحد؟ فحمل الناس عليه وقالوا: يا أعرابي، أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسيم القلب؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه فإن الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم. قال: يا أعرابي، إن القول أن الله واحد على أربعة أقسام؛ فوجهان منهما لا يجوزان على الله عزوجل، ووجهان يثبتان فيه.

فأما اللذان لا يجوزان عليه: فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أنه كفر مَن قال ثالث ثلاثة، وقول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز عليه؛ لأنه تشبيه، وجل ربنا وتعالى عن ذلك، أما الوجهان اللذان يثبتان فيه: فقول القائل هو واحد ليس له في الأشياء شبيه كذلك ربنا عزوجل، وقول القائل إنه ربنا عزوجل، أحدي المعنى، يعني أنه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم، كذلك ربنا عزوجل.

المستبصر محمد الرصافي المقداد

د. إحسان الغريفي

رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً

من كمالات مذهب أهل البيت عليهم السلام أنّنا نجد لكلّ مشكلة ولها حلٌّ عند الأئمة عليهم السلام، ومن المشاكل الّتي يعاني منها بعض الناس العقم، وطريقة التوسل إلى الله تعالى يصفها الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام، حيث أنه قال لبعض أصحابه: قل في طلب الولد: (رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ، وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً يَبرُّ بِي فِي حياتي ويستغفرُ لي بعد وفاتي، واجعله خَلْقاً سوِيّاً ولا تجعل للشيطان فيه شَرَكاً ولا نَصِيْباً، اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك إنَّكَ أنْتَ الغفور الرحيم) سبعين مرة، فإن أكثر هذا الدعاء رزقه الله ما يتمنى من مال، وولد، ومن خير الدنيا والآخرة، فإنه تعالى يقول: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾ نوح: ١٠ - ١٢.

وروي عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: وفدت إلى هشام بن عبد الملك فأبطأ عليَّ الإذن حتى اغتممتُ، وكان له حاجب كثير الدنيا لا ولد له، فدنا أبو جعفر عليه السلام فقال: هل لك أن توصلني إلى هشام فأعلّمك دعاءً يولد لك ولد؟ فقال: نعم، وأوصله إلى هشام فقضى حوائجه، فلما فرغ قال له الحاجب: جُعلت فداك، الدعاء الذى قلت لي، فقال: نعم، تقول في كل يوم إذا أصبحت وأمسيت (سبحان الله) سبعين مرة، وتستغفر الله (عزوجل) عشر مرات، وتسبحه تسع مرات، وتختم العاشرة بالاستغفار تقول: لقوله تعالى:

﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ...﴾ إلى آخر الآية، فقالها الحاجب فرُزق ذرية كثيرة، وكان بعد ذلك يصل أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام. (البحار: ١٠١، ٨٥).

وعن أبي بكر بن الحرث البصري قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنا من أهل بيت قد انقرضوا وليس لي ولد، قال: فادع الله عز وجل وأنت ساجد وقل: رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ، رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ، قال: فقلتها فولد لي علي والحسين. (البحار: ١٠١، ٨٦).

إعداد / السيد محمد العطار

الاجتهاد والمواظبة على العمل

الحلقة الأولى

حث الكتاب الكريم الإنسان على عمل الخير والطاعة والاهتمام به والمواظبة عليه حثاً بليغاً، ووعد عليه وعداً حسناً، وأوعد على الغافلين المعرضين عنه بالحرمان عن ثوابه والاضطرار إلى عذابه.

والمداومة والاستمرار على ذلك يوجب حصول خلق كريم في النفس، فلا تضيع عنه أيام عمره ولا تفوته أعماله التي هي مرهونة بأوقاتها، ولا تعقبه الندامة والحسرة يوم القيامة، وهذا يشمل الإتيان بالواجبات والمندوبات والترك للمحرمات والمكروهات حسب اختلاف مراتبها في الفضيلة والقرب إلى الله تعالى والمثوبة.

فقد نطق القرآن الكريم في آيات عديدة بأنه:

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ﴾(١).

وأن الذين عند ربك ﴿لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ (٢).

وأن ﴿الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ (٣). وأنه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (٤). وأنه: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ (٥). وأنه: ﴿لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ (٦) وأن ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (٧). وأنه ﴿اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ (٨).

وأن ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (٩).

وأنه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (١٠)،وأنه﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾(١١)، وأن ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ﴾(١٢)، وأنه:

﴿مَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ﴾ (١٣)، و﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (١٤)، وأنه ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ (١٥)، وأن ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (١٦)، و﴿إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ (١٧)، و﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾ (١٨).

وورد في النصوص في كتاب (بحار الأنوار: ج٧١، ص١٧١ وما بعدها) أنه: طوبى لمن طال عمره وحسن عمله.

وكان الإمام علي عليه السلام ينادي بعد العشاء الآخرة: أيها الناس: تجهزوا رحمكم الله، فقد نودي فيكم بالرحيل وانتقلوا بأحسن ما بحضرتكم من الزاد وهو زاد التقوى.

وأن من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون. ومن لم يعرف الزيادة في نفسه كان إلى النقصان أقرب.. ومَن لم يتعاهد النقص من نفسه غلب عليه الهوى.. وأن الخير كثير وفاعله قليل.. وكونوا على قبول العمل أشد عناية منكم على العمل.. وأنه مَن أحبنا فليعمل بعملنا وليستعن بالورع.. وما أقبح بالمؤمن أن يدخل الجنة وهو مهتوك الستر.

وأن الصادق عليه السلام قال: إنكم على دين الله ودين ملائكته، فأعينونا بورع واجتهاد.. وأنه: خذ من حياتك لموتك.. ومن يزرع خيراً يحصد غبطة، ومن يزرع شراً يحصد ندامة.. وأن الله أخفى رضاه في طاعته، فلا تستصغرن شيئاً من طاعته.. واحذر أن يفقدك الله عند طاعته فتكون من الخاسرين.

(١) البقرة: ١١٠. (٢) الأنبياء: ١٩، ٢٠. (٣) الكهف: ٤٦.
(٤) النحل: ٩٧. (٥) مريم: ٦٥. (٦) الكهف: ٣٠.
(٧) المائدة: ١٠٥. (٨) التوبة: ١٠٥. (٩) العنكبوت: ٦٩.
(١٠) فاطر: ١٠. (١١) يس: ١٢. (١٢) فصلت: ٤٦.
(١٣) غافر: ٥٨. (١٤) الجاثية: ٢١. (١٥) الحديد: ٢١.
(١٦) المدثر: ٣٨. (١٧) المطففين: ١٨. (١٨) الانشقاق: ٦.

إعداد / منير الحزامي

إن من تجليات التكريم الإلهي لأمير المؤمنين عليه السلام تزويج الله ورسوله إياه فاطمة الزهراء عليها السلام.. وفي هذا التزويج دلالة على عظم مقامه ومقامها عليها السلام.. فقد روى الكليني رحمه الله في الكافي (ج١، ص٤٦١) عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (لولا أن الله تعالى خلق أمير المؤمنين عليه السلام لفاطمة عليها السلام ما كان لها كفؤ على ظهر الأرض، من آدم فمَن دونه).

وإذ نحن في ذكرى وفاة السيدة أم البنين عليها السلام.. قد نواجه الكثير من التساؤلات حول حياة أمير المؤمنين عليه السلام وسيرته وكيفية زواجه منها... وواحدةٌ من هذه الشبهات والتساؤلات المطروحة: أنه لماذا لم يتزوج علي عليه السلام غير فاطمة عليها السلام ما دامت على قيد الحياة؟! مع أن تعدد الزوجات مستحب.. وإذا كانت الزهراء عليها السلام لا ترضى، فهل يمكن أن لا ترضى بما يرضاه الله؟!

وقد أجاب المحقق الخبير والعلامة الجليل السيد جعفر مرتضى العاملي على هذه التساؤلات وغيرها في كتابه القيّم (الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام، ص٢٥٤)، نذكر جوابه باختصار:

أولاً:-

قد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: (حرم الله النساء على علي عليه السلام ما دامت فاطمة عليها السلام حية. قال الراوي: قلت: وكيف؟! قال: لأنها طاهر لا تحيض) (التهذيب: ج٧ ص٤٧٥).. ولعل هذا التعليل يريد أن يشير إلى عظمتها ومقامها عند الله تعالى، وأن الله قد طهرها، حتى من جهة خلقتها، فنزهها عن الحيض، حتى لا يمنعها ذلك من مواصلة عباداتها التي تحبها.. وبهذا الحال، هل يصح من علي عليه السلام أن يفضّل عليها أحداً، أو أن يميل إلى أحد سواها وهي على قيد الحياة؟!

ثانياً:-

لم يثبت استحباب الزواج بأكثر من امرأة واحدة، بل ورد إباحة ذلك في القرآن الكريم، مع النصيحة بالتزام الزواج من واحدة في صورة الخوف من عدم التمكن من العدل بين النساء... نعم، قد ورد في السنة الأمر بالتزوج بأكثر من واحدة لمعالجة حالة الفقر (الكافي: ج٥، ص٤٣٠)، أو نحو ذلك.. مع ملاحظة: أن معالجة ظاهرة الفقر قد كانت بالطلاق أيضاً (الكافي: ج٥، ص٣٣١)، مع أنه أبغض الحلال إلى الله تعالى..

ثالثاً:-

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا...﴾ (الروم: ٢١). فقد دلت هذه الآية على: أن الهدف من الزواج هو تحقيق السكون، والرضا، وذلك من خلال التوحد، والالتقاء، ووجدان النفس لحقيقتها الكاملة، ليكونا معاً بمثابة نفس واحدة..

ومن الواضح: أن الزهراء عليها السلام حين تكون مع الإمام علي عليه السلام، فإنه عليه السلام سوف لا يجد في نفسه أية حاجة إلى شيء آخر، لأن الزهراء عليها السلام هي الكمال كله.. فلا يبقى أي مبرر لتطلّب شيء آخر، ما دام أن السكون والرضا قد بلغ منتهاه، فما هو الداعي لأن يبحث الإمام عليه السلام عن زوجة أخرى..

وربما لأجل هذه الخصوصية بالذات لم يتزوج النبي صلى الله عليه وآله في حياة السيدة خديجة عليها السلام أية امرأة أخرى، لكنه تزوج بعدها بالعديد من النساء لأكثر من داع وسبب.. رغم علمه صلى الله عليه وآله بأنه لن يجد مثل خديجة عليها السلام.. وقد تزوج علي عليه السلام بعد الزهراء عليها السلام بالعديد من النساء رغم علمه بأنه لن يجد مثل الزهراء عليها السلام.

ثواب الأعمال

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال أنه قال لبكر بن محمد الأزدي:

تَجْلِسُونَ وتَتَحَدَّثُونَ؟ قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، نَعَمْ. قَالَ: إِنَّ تِلْكَ الْمَجَالِسَ أُحِبُّهَا فَأَحْيُوا أَمْرَنَا، إِنَّهُ مَنْ ذَكَرَنَا وَذُكِرْنَا عِنْدَهُ فَخَرَجَ مِنْ عَيْنِهِ مِثْلُ جَنَاحِ الذُّبَابَةِ غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ.

(ثواب الأعمال: ١٨٧)

وعقاب الأعمال

عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

أيما مؤمن كان بينه وبين مؤمن حجاب، ضرب الله بينه وبين الجنة سبعين ألف سور، من السور إلى السور مسيرة ألف عام.

(وسائل الشيعة: ج١٢، ص٢٣٠)

أصول الدين عند الشيعة / ٤

إعداد / بدر العلي

ثالثاً: النبوّة

إنّ الأنبياء والرسل(عليهم السلام) بشرٌ تميّزوا على سائر البشر بقدراتهم الذاتيّة وصفاتهم الشخصيّة النبيلة، من تربية طيّبة صالحة وأخلاق سامية وسريرة حسنة وانقياد للحقّ والإنصاف والعدل، لذا نجد الأمانة والصدق وطيبة القلب وحبّ الخير لكلّ البشر هي من جملة صفاتهم الحميدة. وهم بذلك مؤهّلون لتحمّل مسؤوليّة قيادة البشر نحو الخير والصلاح، وهدايتهم إلى طريق الحقّ وسبيل الرّشاد، والصدع لأوامر الله ونواهيه، ليقيهم من شرور الدنيا وعذاب الآخرة.

لذلك كان لزاماً اختيار الأنبياء والرسل(عليهم السلام) للقيام بهذه المهمّة الخطيرة، القيادة الحكيمة التي صمّم الله سبحانه مخطّطها، وحدّد جوانب مسؤوليّاتها. يقول هشام بن الحكم إن الإمام الصادق(عليه السلام) قال للزنديق الذي سأله: من أين أثبت الأنبياء والرسل؟: (إنّا لمّا أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه، ولا يلاقوه، فيباشرهم ويباشروه، ويحاجّهم ويحاجّوه، فيسألوه عن واجباتهم؛ ثبت أن له سفراء في خلقه، يعبّرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم، وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، والمعبّرون عنه جلّ وعزّ، وهم الأنبياء(عليهم السلام)، وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبون بالحكمة، مبعوثون بها... ثمّ ثبت ذلك في كلّ دهر وزمان ما أتت به الرسل والأنبياء(عليهم السلام) من الدلائل والبراهين، لكي لا تخلو أرض الله من حجّة يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته). (أصول الكافي: ص١٦٨)

وقد قرن الله سبحانه أنبياءه ورسله(عليهم السلام) بمعاجز تتناسب وعقول أهل زمانهم، وتفوق ما اشتهر في ذلك الزمان إلى حدّ الإعجاز والإفحام، كمعجزة الطوفان على يد النبيّ نوح(عليه السلام)، والنجاة من النار عند إحراق النبيّ إبراهيم(عليه السلام)، والتكلّم في المهد وبرء وشفاء الإنسان الأبرص والأكمه، وإحياء الموتى على يد النبيّ عيسى(عليه السلام)، وعصا النبيّ موسى(عليه السلام)، وانفلاق ماء البحر له ولقومه فيعبرون، وغرق فرعون وجنوده.

ومعجزة القرآن الكريم هي المعجزة الخالدة ما خلد الدهر، وهي التي خصّ الله سبحانه نبيّه(صلى الله عليه وآله) بها. حيث نزلت في عصر بلغ فيه المجتمع العربي ذروة بلاغة الكلام وفنون الخطاب والنظم، وتميّز ذلك العصر بالأدب الرفيع وبلاغة المنطق، فجاء الذكر الحكيم بتعابير وصياغات كلاميّة سلسلة بديعة، وتراكيب جميلة وسامية، ألجمت أفواه عظماء المتكلّمين والخطباء والشعراء والسجّاعين، وبلغاء ذوي المنطق والبيان، وأذهلت أفكارهم، وحيّرت عقولهم، وعجزوا عن أن يأتوا بسورة من مثله.

ولقد تحدّاهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ((قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا». (الإسراء: ٨٨) ثم يخفّف عنهم، فيقول: «قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ». (هود: ١٣) ثم يخفّف ويسخر؛ إذ يقول سبحانه: «وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ». (البقرة: ٢٣) هذا وقد كاد بلغاؤهم وفصحاؤهم كيدهم على أن ينقضوه ويبطلوه، إلاّ أنّهم عجزوا وباتوا في حيرة من أمرهم هذا.

كل ذلك كان بمشيئة الله (عزوجلّ)، وإرادته وقوّته وعظمته وحكمته وعدالته، ولقد شاء (جلّ وعلا) بمقتضى رحمته وحكمته أن يختار الأنبياء والرسل(عليهم السلام) لهداية البشريّة إلى الصراط المستقيم، بقيادتهم الرشيدة وهدايتهم الحميدة، وتحذيرها من سبيل الضلال والانحراف، وليمكّنوا الإنسان أن يخطو إلى قمم العلاء والكرامة والكمال الإنسانيّ والصفات الحسنة جميعاً، من خلال سلوك هذا السبيل القويم.

لهذا فإن الله سبحانه نزّه أنبياءه ورسله(عليهم السلام) عن أيّ ذنب أو معصية أو اشتباه أو خطأ أو نسيان. وبكلمة أخرى فإنه سبحانه جعلهم معصومين منزّهين، لكي يتمكّنوا من قيادة الإنسانية نحو التكامل في جميع المجالات، ونحو الطاعة المطلقة والتسليم المطلق لأوامر الله ونواهيه.

آيات الله.. تدبر بها

خلق البيضة والتدبير في ذلك

من كلام لإمامنا جعفر الصادق(عليه السلام) للمفضل بن عمر(رحمه الله):

اعتبر بخلق البيضة وما فيها من المُحّ الأصفر الخاثر والماء الأبيض الرقيق، فبعضه ينشو منه الفرخ وبعضه ليغتذي به إلى أن تنقاب عنه البيضة وما في ذلك من التدبير؛ فإنه لو كان نشوء الفرخ في تلك القشرة المستحفظة التي لا مساغ لشيء إليها جعل معه في جوفها من الغذاء ما يكتفي به إلى وقت خروجه منها.

(توحيد المفضل، ص ٦٩)

الترجمة الخاطئة للعلم

الحلقة الأولى

إعداد / السيد أبو رضا

إن العلم بمعناه الواسع لا يقتصر على الجانب الشرعي:

سوف نبين في هذا المقال بعض الحقائق في علاقة الدين بالعلم لعلها تساعد في حسم الخلاف في بعض ما دار في هذه المسألة:

أولاً: رأى الغربيون أن يميزوا بين العلم بمعناه العام الذي تدل عليه كلمة نولدج knowledge والعلم بالمعنى الخاص الذي هو العلم التجريبي أو الطبيعي، فاختاروا للثاني كلمة خاصة مأخوذة من اللغة اللاتينية هي كلمة سينس science.

لكن الذين ترجموا هذه الكلمة إلى اللغة العربية فعلوا عكس ذلك تماماً. لقد عمدوا إلى أكثر الكلمات دلالة على العلم بمعناه الواسع هي كلمة علم فجعلوها ترجمة للعلم بهذا المعنى الخاص. هذه الترجمة الغالطة التي جعلت العلم بمعناه العام هو السينس هي التي أدت إلى إرباك فكري ما نزال نعاني منه.

إن بإمكان المتحدث بلغة غربية أن يقول عن كلام ما هذا نولدج (علم) لكنه ليس سينس. فكل سينس علم ولكن ليس كل علم سينس. لكن المتحدث باللغة العربية لا يستطيع أن يميز بين الأمرين إلا إذا وصف العلم بمعناه الخاص بالعلم الطبيعي أو التجريبي.

وقد أدى هذا الخطأ إلى خطأ حتى في فهم طبيعة القرآن الكريم.. فبالرغم من وجود عشرات الآيات التي تصف هذا الكتاب بأنه كتاب علم، فإنك تجد حتى بين المؤمنين به من يقول لك إن القرآن ليس كتاب علم وإنما هو كتاب هداية. ولكن هل تكون هداية بغير علم؟

إن العلم بمعناه الواسع ليس قاصراً على العلم الشرعي ولا العلم التجريبي، بل إن كل كلام أو دعوى مطابقة للواقع فهي علم. ولكن لأن العلم الذي أوحاه الله تعالى هو أجل العلوم، فإن القرآن الكريم يذكره بصيغة مطلقة ويذكر غيره مقيداً، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الروم: ٨٣)، وقوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم: ٧)

ثانياً: لو أن مجال العلم الطبيعي كان منفصلاً تماماً عن مجال الدين لما احتجنا للحديث عن الفصل بينهما، بل لقلنا إن الفصل قائم فلا تخلطوا بينهما، لكن الواقع أن هنالك تداخلاً بين الدين الحق وبين السينس يجعل الفصل الكامل بينهما أمراً مستحيلاً. الدين يتكلم عن مخلوقات الله تعالى المشهودة كما يتكلم عنها السينس، لكن الأخير لا يتعرض لكل ما يتعرض له الدين من مخلوقات الله تعالى لأن وسائله لا تمكنه من الكلام عنها بعلم لأنه ما يزال يتطور فيكتشف اليوم ما لم يكن متيسراً له اكتشافه بالأمس وهكذا.

وكلام الدين عن المخلوقات المشهودة التي هي من اختصاص السينس هو الذي جعل شيئاً كالإعجاز العلمي (الذي ينبغي أن يفهم منه الإعجاز السينسي) أمراً ممكناً. ما هذا الإعجاز؟ إنه تأييد السينس بوسائله العلمية الحديثة لحقائق قررها كتاب الله تعالى من قبل بغير تلك الوسائل. يقول أحد الأطباء الفلبينيين إنه تخرج في علم الطب في كندا، وأنه كان من أساتذته أستاذ مختص بعلم الأجنة، وأن هذا الأستاذ كتب له وهو بالفلبين بعد تخرجه رسالة يقول له فيها: إن في القرآن الكريم كلاماً ملفتاً للنظر عن تطور الأجنة، يعني قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٢-١٤)

قال هذا الطبيب إنه لما قرأ هذا الكلام قال في نفسه إنه لم يكن من الممكن لبشر أن يعرف هذه الحقائق بالوسائل البشرية في الزمن الذي عاش فيه نبينا محمد ﷺ. فلا بد إذن أن يكون ﷺ قد تلقاها من مصدر غير بشري، من الله تعالى. يقول الطبيب: ولذلك أسلمت.

قصة امرأة ! !

إعداد / أحمد السيلاوي

روي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لأخيه عقيل عليه السلام العالم بأنساب العرب وأخبارهم: أنظر لي امرأةً قد ولدتها الفحولةُ من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً، فقال له: تزوج أمَّ البنين الكلابية؛ فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها، فتزوجها.

فمضى عقيل عليه السلام في مهمته بأمر أخيه حتى ورد بيت حزام بن خالد الكلابي ضيفاً وكان خارج المدينة، فرحب به ونحر له النحائر وأكرم مثواه... فقال حزام إلى عقيل: هل من حاجة فتُقضى أو ملمة فتُمضى من مال أو رجال، فنحن رهن إشارتكم؟

فقال له عقيل: جئتك بالشرف الشامخ، والمجد الباذخ.

فقال حزام: وما هو يا ابن عم رسول الله؟!

قال: جئتك خاطباً.

قال: مَن لمَن؟!

قال عقيل: أخطبُ ابنتَكَ الحرةَ فاطمة أمَّ البنين إلى يعسوب الدين والحق اليقين... أمير المؤمنين علي بن أبي طالب...

فلما سمع حزام.. قال: بخ بخ!! بهذا النسب الشريف والحسب المنيف، لنا الشرف الرفيع والمجد المنيع بمصاهرة ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وبطل الإسلام وقاسم الجنة والنار، ولكن يا عقيل... إن مثل أمير المؤمنين ينبغي أن تكون له امرأة ذات معرفة عن علم وآداب... حتى تكون صالحة لشأنه العالي ومقامه السامي، وأن ابنتنا من أهل القرى والبادية وأهل البادية غير أهل المدينة ولعلها غير صالحة لأمير المؤمنين عليه السلام.

فقال عقيل: يا حزام، إن أخي يعلم بكل ما قلتَه، وإنه يرغب في التزويج بها.

فقال حزام: إذاً تمهل حتى أسأل عنها أمَّها: هل تصلح لأمير المؤمنين أم لا، فإن النساء أعلم ببناتهن من الرجال في الأخلاق والآداب.. فقام حزام من مجلسه وجاء ليسأل.. فلما قرب من المنزل وإذا هو يرى فاطمة جالسة بين يدي أمها وهي تمشط رأسها وفاطمة تقول: يا أماه، أني رأيت في منامي رؤيا البارحة، فقالت لها أمها: خيراً رأيت يا بنية، قصيها عليّ. فقال حزام في نفسه: سأنتظر حتى أسمع ماذا رأت في منامها، فوقف في مكانه بحيث يسمع الصوت ولا يراه أحد.

فقالت فاطمة لأمها: إني رأيتُ فيما يرى النائم كأني جالسة في روضة ذات أشجار مثمرة وأنهار جارية، وكانت السماء صاحية والقمر مشرقاً والنجوم ساطعة، وأنا أفكر في عظمة خلق الله من سماء مرفوعة بغير عمد وقمر منير وكواكب زاهرة، فبينما كنت في هذا التفكير ونحوه وإذا أرى كأنَّ القمر قد انقض من كبد السماء ووقع في حجري وهو يتلألأ نوراً يغشي الأبصار، فعجبت من ذلك وإذا بثلاثة نجوم زواهر قد وقعوا أيضاً في حجري وقد أغشى نورهم بصري، فتحيرت في أمري مما رأيت وإذا بهاتف قد هتف بي أسمع منه الصوت ولا أرى الشخص وهو يقول:

بشراكِ فاطمة بالسادة الغرر
ثلاثة أنجم والزاهر القمر
أبوهم سيد في الخلق قاطبة
بعد الرسول كذا قد جاء في الخبر

فلما سمعتُ ذلك ذُهلت وانتبهت فزعة مرعوبة، هذه رؤياي يا أماه فما تأويلها؟

فقالت لها أمها: يا بنية، إن صدقتْ رؤياك فإنك تتزوجين برجل جليل القدر رفيع الشأن عظيم المنزلة عند الله مطاع في عشيرته، وترزقين منه أربعة أولاد يكون أولهم وجهه كأنه القمر وثلاثة كالنجوم الزواهر.

فلما سمع حزام ذلك أقبل عليهما وهو مبتسم ويقول: يا بنية، قد صدقت رؤياك.

فقالت الأم: وكيف علمتَ ذلك؟!

قال: هذا عقيل بن أبي طالب جاء يخطب ابنتك.

قالت: لمن؟!

قال: لفلاذ الكتائب ومظهر العجائب... الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

قالت: وما الذي قلتَ له؟!

قال: أمهلته حتى أسألك عن ابنتك، هل تجدين فيها كفاءة بأن تكون زوجة لأمير المؤمنين عليه السلام؟.. فإن تجديها أهلاً لأن تكون خادمة في هذا البيت وإلا فلا.

فقالت: يا حزام، إني والله قد ربيتُها وأحسنتُ تربيتها، وأرجو الله العلي القدير أن يسعد جدها، وأن تكون صالحة لخدمة سيدي ومولاي أمير المؤمنين، فزوّجها.

فلما سمع حزام سُرّ بذلك سروراً عظيماً، وأقبل إلى عقيل وهو مستبشر، فقال له عقيل: ما وراؤك؟

قال: كل الخير إن شاء الله، قد رضينا بأن تكون ابنتنا خادمة لأمير المؤمنين عليه السلام.

فقال عقيل: لا تقل خادمة بل قل زوجة.

ثم قال عقيل: يا حزام، هل عندكم اقتراح في الصداق؟

قال حزام: هي هبة منا إلى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال عقيل: بل ممهورة. أما المهر فهو ما سنّه رسول الله صلى الله عليه وآله... خمسمائة درهم، وأما الهدية فلكم ما يرضيكم ويزيد.

فقال حزام: اعلم يا عقيل، إنّا لا نطمع في كثرة المال، ولكن نطمع في شرف الرجال. ثم نهض حزام من وقته وساعته ودخل على زوجته ثمامة بنت سهيل وهو يقول: البشارة... فقد قبل عقيل بن أبي طالب ابنتك زوجة لأخيه أمير المؤمنين صاحب الأنوار والهيبة والوقار، فلما سمعتْ ذلك منه خرت ساجدة لله شكراً وقالت: الحمد لله الذي جمع شملنا بمحمد المصطفى صلى الله عليه وآله وعلي المرتضى عليه السلام، ثم أقبلت على ابنتها فاطمة تهنئها وتقبّلها...

غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف /١

إعداد/ السيد محمد العطار

البحث عن غيبة الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف يرتبط بالبحث عن إمامته كأحد الأئمة عليهم السلام، ولا يمكن أن يستغني عنه الباحث عن إمامة المهدي عجل الله فرجه الشريف وعن البحث في غيبته، وقبل هذا نقاط نوجزها:

النقطة الأولى:

إن غيبة المهدي عجل الله فرجه الشريف وظهوره كموت الخليقة وحشرها أمرٌ قدّره الله سبحانه -حسب رأينا نحن الإمامية الاثنا عشرية- ولم يستشر فيه أحداً ولم يوكّل أمره إلى أحَد غيره.. يعني أن الله سبحانه حينما خلق الخلق قدّر لهم النشأة الأولى هذه، وقدّر لهم النشأة الأخرى، شئنا أم أبينا، كنّا في رضىً من ذلك أم كرهناه، وذلك لحبنا لهذه العاجلة، أو مع الأسف الشديد لأننا أسأنا العمل فنكره المواجهة مع آثام العمل وآثاره.

إنّ الله سبحانه وتعالى قدّر للخلق أن تكون لهم نشأتان: نشأة في حياتهم الدنيا، ونشأة أخرى في حياتهم الأخرى، وهكذا أيضاً قدّر الله سبحانه أن يكون عدد أوليائه اثني عشر، لا يزيدون واحداً ولا ينقصون، وقدّر لهذا الثاني عشر أن يغيب من بيننا وهو حي وأن يظهر في الزمن الذي اختاره الله بحكمته وقدّره بعلمه، شئنا أم أبينا.

وأعني أنّنا لسنا مختارين، ولم يجعل الله سبحانه خياراً لنا في أن نحيا ونُحشر بعد أن نموت، بحيث إننا إذا وجدنا في حياتنا الأخرى تلك منشأ لذّة أحببنا الحياة، وإن وجدنا فيها آثاماً وسوء نتائج لسوء أعمالنا في هذه الحياة اخترنا أن يكون موتنا موتاً دائماً.

والذين قرأوا جداول أبي ماضي يعلمون بأن شبهة المعاد عنده أساسها هذه، هذه الشبهة لو أردنا أن ننظر إليها من ناحية تندّر وظَرَفْ، لا بدّ وأنكم سمعتم أن هناك من يتندر فيقول: بأن الجوزة إن كان لا بدّ لها من حامل ولا يكون إلاّ شجرة باسقة كبيرة طويلة العمر، فكيف بالبطيخة، البطيخة لا بدّ أن تكون شجرتها أكبر من شجرة الجوزة، مع العلم بأن هذا تندّر أو تغفّل أو شيء آخر أسوء من هذين، لماذا؟ لأننا واجهنا في الحياة أنّ الله سبحانه وتعالى قدّر للجوزة أن تكون ثمرة لشجرة باسقة، وأن لا يكون للبطيخ إلاّ هرش صغير.

فالعالم هو الذي يأخذ الحقائق كما هي ثم يستعين بها في حياته، يعني بحيث إننا لو أردنا أن نستحصل الجوزة علينا أن نهيئ أو نغرس شجرتها وننتظر وقد يكون انتظارنا يستمر سنين إلى أن نحصل على الثمرة، وإذا أردنا أن نحصل على البطيخة، فالبطيخة أهون بكثير في استحصالها من حيث الزمن ومن حيث الغرس ومن حيث العناية بالغرس، وأسهل بكثير من الجوزة وشجرتها.

نحن لا نملك حقائق الحياة ولا يملكها إلاّ الله سبحانه وهو الذي قدّرها واستمرّ عليها ويستمر عليها لحكمته، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

لقد قدّر الله بحكمته أن يكون الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف آخر الأئمة، وأن يكون مهدي هذه الأمّة، وأن يكون هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، أو بعدما مُلئت ظلماً وجوراً، ولا فرق بين العبارتين، إلاّ ما يتخيله الإنسان من أنّ كاف التشبيه قد تكون أهون من البعدية، ولا فرق بين الاثنين بحسب الواقع.

فالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف إرادة الله في عالم الشريعة، كما أنّ حشْرَه سبحانه لخلقه إرادته في عالم الخليقة والتكوين، لا فرق بين الاثنين، لم يستشر أحداً في الأولى أي في الحشر بعد الموت، ولا يستشير أحداً في الثانية، أي إنّ الله هو الذي قدّر أن يكون لهذه الأمّة مهديٌ يظهر في آخر الزمان، وأن يكون من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن ولد أمير المؤمنين عليه السلام والصديقة الكبرى عليها السلام، وأن يكون من ولد الحسين عليه السلام، (إنّ الله تعالى عوّض الحسين من قتله أن جعل الإمامة في ذريّته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره...).

وهذه حقيقة هامّة يجب أنْ لا نغفل عنها، وهي أن إيماننا بالمهدي عليه السلام لا يرتبط بأنفسنا من ناحية ذاتية، بحيث أني لو أحببت المهدي عليه السلام أؤمن به، ولو لم أحبّه لا أؤمن به.. إن إيماني بالمهدي خضوع وتسليم لإرادة الله كإيماني بكل ما أراه من سنّة الله تبارك وتعالى في هذا الكون وسنّته في الخلق، عليّ أن أنسجم وأن أجعل نفسي وحياتي ملائمة ومنسجمة مع سنّة الله، سنن الله سبحانه وتعالى لا تكون بحيث يرضى بها أحد فتكون سنّة ويكرهها آخر فلا تكون سنّة بالنسبة إليه.

تحرير: السيد محمد العطار / منير الحزامي
تصميم وإخراج: أحمد السيلاوي
دار الضياء للطباعة - النجف الأشرف ٠٧٨٠١٠٠٠٦٠٣
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٢١٩ لسنة ٢٠٠٩
زوروا موقعنا على الموقع www.alkafeel.net - راسلونا على nashra@alkafeel.net
اتصلوا بنا - الهاتف / بدالة ٣٣٢٦٠٠ داخلي ١٦٢